

فلسفة الفكاهة والخطاب الفكاهي وعلاقتها بالسلوك الإنساني.

The Philosophy Of Humor And Humorous Discourse And Its Relationship
To Human Behaviour.

لامية طالة

كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، lamia.tll@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/07/25 تاريخ القبول: 2021/11/27 تاريخ النشر: 2021/12/25

ملخص: مما لا شك فيه أن الفكاهة من المصطلحات التي يصعب تحديد مفهوم خاص بها نظرا لتداخل العديد من أنواع المضحك معها؛ حيث أنها تعتبر من الكلمات التي يصعب على الباحث أن يقف على تعريف محدد لها، ولعل سر ذلك فيما يبدو اشتغالها على الدعابة والمزاح والتهكم والسخرية والنكتة والهزل، خاصة وأن مفهومها متغيرا من بلد إلى آخر ومن زمن إلى آخر ومن موضوع إلى آخر. وفي نفس الصدد فقد جذبت الفكاهة اهتمام الأدباء المفكرين والفلاسفة قديما وحديثا، إذ يلتقي عند الفكاهة حلم الإنسان بواقعه التاريخي وبخياله الأدبي، الأمر الذي لا يخلو من دلالات تهيئ مجالا واسعا خصبا للدراسات التاريخية والاجتماعية والأدبية والفلسفية والنفسية أيضا، تنعكس لها في خطاباته الفكاهية، فعندما يسرد الراوي حادثا واقعا أو متخيلا، يثير إعجاب السامعين، ويبعث فيهم الجدل والضحك أحيانا، وعلى ما يبدو أن الفكاهة ليس الهدف منها الإضحاك فحسب، بل الهدف منها النقد والإصلاح بطريقة أقل عدوانية مقارنة مع الأنماط الأخرى.

كلمات مفتاحية: الفكاهة. الخطاب الفكاهي. الضحك. السلوك الإنساني. السخرية.

Abstract:

There is no doubt that humor is a term for which it is difficult to define a concept because many types of funny overlap; They are words for which it is difficult for a researcher to find a specific definition. Perhaps this seems to include humour, joke, cynicism and joke, especially since the concept of humor is different from country to country, from time to time and from subject to subject.

In the same vein, humor has attracted the attention of old and recent intellectual and philosopher authors. The humor meets the dream of man with his historical reality and literary imagination, which is not without connotations that create a rich field for historical, social, literary, philosophical and psychological studies, reflected in his humorous speeches.

Keywords: Humor. Humorous speech. Laugh. Human behavior. Irony.

*المؤلف المرسل

مقدمة:

"تعتمد الكوميديا على الطابع الجماعي أما التراجيديا فهي ذات طابع فردي، فالإنسان يضحك مع الجماعة ولكنه يتألم وحده ويموت وحده".

يعرف العديد منا الكثير من الأمثال العامة الخاصة بالضحك، فإن جرعة صحية من المرح والفكاهة تساعدنا على التعايش مع الحياة اليومية بطريقة أكثر سهولة وخاصة في الأوقات الصعبة والمليئة بالتحديات، فعندما نمرب يوم شاق سواء على المستوى الشخصي أو في أمور متعلقة بالعمل أو مشاكل صحية، عندها يتضح أهمية الفكاهة والمزح لأنها تكون بمثابة نقطة مضيئة في ليل أسود مظلم، فهي لا تعالج المشكلة في حد ذاتها وإنما تعمل على تخفيض مستويات التوتر لدينا وتساعدنا على رؤية العالم من منظور مختلف.

استحقت الفكاهة اهتمام بعض الأدباء والكتاب والفلاسفة قديماً وحديثاً، لكنها لم تنل ما تستحقها من الدراسة في العصور القديمة والوسطى، إذ كانت نظرة الأدباء إلى موضوع الفكاهة نظرة يشوبها كثير من قلة الاهتمام واللامبالاة، ولاسيما لدى علماء الفلسفة الإنسانية والسلوك الاجتماعي. ويؤكد الباحثون الذين عنوا بدراسة الفكاهة، أنها من الكلمات التي يصعب تحديد مفهوم محدد لها نظراً لاشتغالها على العديد من المفاهيم؛ حيث أنها تعد من الكلمات التي يصعب على الباحث أن يقف على تعريف محدد لها، ولعل سر ذلك فيما يبدو اشتغالها على الدعابة والمزاح والتهكم والسخرية والنكتة والهزل...».

فوفقاً للفلسفة القديمة، كان للفكاهة نصيب قليل من الاهتمام وعادةً ما تكون سلبية إن وجدت، فعلى سبيل المثال، كان أفلاطون ينتقد الضحك كعاطفة تقلل من ضبط النفس وطالب بضبط حازم لكل ما هو كوميدي، وعلى الصعيد الآخر، قام الفيلسوف سينيكا بتعريف الفكاهة على أنها عنصر حيوي للهدوء وقال: "أن جميع الأشياء ناتجة عن الضحك إلا البكاء" وخُص قائلًا: "إنه يفضل للمرء أن يضحك للحياة بدلاً من أن يتحسر ندماً عليها".

ولعلّ السبب في انصراف العلماء وابتعادهم عن دراسة الفكاهة هو ذلك الرأي السائد في المجتمع الذي كان يرى في الفكاهة نشاطاً غير ذي فائدة لأنها - حسب رأيهم - لا تقوم بدور قيّم داخل المجتمعات، ومن ثمة فإنها لا تخدم هدفاً نفعياً بذاته، إلا أن بعض علماء الاجتماع والفلسفة في القرن العشرين، وبعد تطور الدراسات الإنسانية والسلوكية، أدرك الدور الكبير الذي تقوم به الفكاهة من أجل التعبير عن آراء الناس ومعتقداتهم الفكرية وقيمهم الاجتماعية، ومدى ارتباط كل ذلك بالواقع الإنساني، حيث تبين وبشكل واضح وجلي، ما للفكاهة من أسلوب تعبيرى رائع يتميز بها الإنسان من سائر المخلوقات والكانات.

وبالتالي تعتبر الفكاهة تسلية مجانية للعقل تريحنا من سلسلة الأفكار الروتينية، وتخفف من استبدادها بنا، وتمنعنا من أن نصبح أسرى لها.

لهذا ارتأينا في هذا المقال أن نسلط الضوء على هذه المسألة حيث يعتر الحديث عن الفكاهة حديث إشكالي لأنه متناقض، غير محدد المعالم ولا يتجلى ضمن المفارقات باعتبار أن الفكاهة مفهوم تتحدد معانيه حسب اختلاف الثقافات، والخصوصيات الزمنية والحضارية، ليس في حد ذاته بل فيما يكتسبه هذا الموضوع من أشكال ووظائف.

لذلك فإن أهم المقاربات الاصطلاحية والمعرفية نجدها تتناول موضوع الفكاهة بتبصر شديد نظرا لمادته المركبة وموضوعه الذي يتقاطع مع أغلب المعارف الإنسانية والاجتماعية بدءا بتاريخه ومفاهيمه وبنائه وصولا إلى استعمالاته وتأويلاته المفتوحة معرفية ومنهجية وإجرائية، ومن الأسئلة الإشكالية الجوهرية التي بقيت مطروحة إلى اليوم نجدها ترتبط في العلاقة بين مدى ارتباط الفكاهة بالواقع ومدى واقعية محاكاتها للواقع، حيث أن أغلب المقاربات تركز على مدى اختلاف الثقافات، والخصوصيات الزمنية والحضارية الأنثروبولوجية، ليس في حد ذاتها بل في ما يكتسبه هذا الموضوع من تمفصلات في الأشكال والدلالات والوظائف.

1. سيكولوجية الضحك وفلسفته:

الضحك ظاهرة عالمية، وهي جزء من السلوك الإنساني إذ يقول الفيلسوف الفرنسي "هنري برغسون Bergson Henri" لا شيء هزلي خارج ما هو بشري" وهو خاصية يشترك فيها الناس من نفس الثقافة ومن نفس المجتمع، ومن هنا تأتي المقاربة السوسيولوجية لتؤكد عن العلاقة القائمة بين الضحك والآخر في بعده الجمعي.

فبقدر ما يساهم الضحك في نشر ثقافة النباهة وأخلاقيات التفكير الهادف، بقدر ما يساهم في نشر ثقافة الانحطاط التي تقدس ثقافة الغير على حساب ذاته، وهذا ما عبر عنه "هنري برغسون" في كتابه "الضحك" بحيث اعتبره خاصية تتعلق بالإنسان ويشترك فيها الناس من نفس الثقافة ومن نفس المجتمع.

إن الفكاهة والضحك أمر مهم في حياة الإنسان، إنما تنزع إليه النفس الإنسانية، ولذلك يعرف البعض الإنسان بأنه «حيوان ضاحك» كما يتميز الإنسان عن الحيوانات الأخرى بنطقه، كذلك يمتاز عنها بابتساماته وفكاهته.

لقد شغل موضوع الضحك اهتمام الكثير من الكتاب والأدباء والفلاسفة وعلماء الفيزيولوجيا والأطباء وعلماء النفس عامة، والمشتغلين في حقل الكوميديا والفكاهة خاصة، وذلك منذ البدايات الأولى للحياة الاجتماعية التي تضبط العلاقات بين الناس وفق قواعد متعارف عليها، وللضحك أبعاد معرفية وأنطولوجيا واجتماعية تتفاوت قيمته من مجتمع لآخر ومن فئة اجتماعية إلى أخرى ومن جنس إلى آخر.

فقد جذب موضوع الضحك اهتمام أرسطو، الغزالي، برغسون...، وغيرهم الكثير لما يرون له من أهمية قصوى نفسية واجتماعية له في يوميات الأفراد، ولكن رغم ذلك يبقى الكثير منهم "يعتقد أن الخطاب الجاد هو الخطاب الوحيد والأمثل المفسر والمجسد للواقع الاجتماعي" (أمقران، 2009، ص 04).

لكن هل يمكن للأفراد أن يتعايشوا مع الأحداث والظواهر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية التي تخيم على حياتهم ويوميّاتهم إلا بالطريقة الجادة وبالحلول الصارمة، أم يمكن استغلال هذه التحولات والتراكمات وإدخال عليها خطابا لا يلتزم فقط بالجدية هادف ويكون مثيرا للضحك في آن واحد.

في هذا السياق، يشير أسطوريا إلى "أن المصريين القدماء كانوا يعتقدون أن العالم خلق من الضحك، فحين أراد الإله الأكبر أن يخلق العالم أطلق ضحكة قوية فكانت أرجاء العالم السبعة، ثم أطلق ضحكة أخرى فكان النور، وأطلق ضحكة ثالثة فكان الماء، وهكذا حتى ثم خلق الروح من الضحكة السابعة".

إن هذا الاعتقاد يجعل من الضحك عنصرا أساسيا وهاما في الحياة، بل وحتى يكون بمثابة عاملا قويا في الربط بين الناس، ويضيف إلى ذلك الدكتور أحمد أبو زيد في تحليل وقع مثل هذا الاعتقاد فيقول: "من أجل ذلك كانت روح الفكاهة إحدى خصائص الشخصية المصرية حيث عرف المصريون بحب الفكاهة والميل إلى الضحك لكل شيء ومن كل شيء، فلا يزالون يضحكون رغم كل ما يمر بهم من ويلات ومتاعب وأزمات، ولا يزالون ينظرون بعين الدعابة التي لا تخلو من سخرية إلى العالم من حولهم، فهم يسخرون من أحداث الحياة ومن أعدائهم، ومن حكاهم، بل ومن أنفسهم على السواء" (مجموعة من المؤلفين، 1982، ص 03-04).

وبالتالي لا يمكن القول أن المصريين فقط هم الذين يتمتعون بروح الفكاهة وإنما كل المجتمعات وكل الشعوب تتخذ عقائد وأساطير مماثلة لخلق أجواء الضحك والفرح، هذا ما نجده لدى مؤلفي كتاب الفكاهة وآليات النقد الاجتماعي عندما يقولون أنه "لا توجد مجتمعات إنسانية تخلو من الفكاهة والضحك، مما يؤكد أن الضحك والفكاهة مثلها مثل أي رسالة أو ظاهرة اجتماعية، توفى ببعض الوظائف الخاصة بالأفراد وتستخدم أساليب معينة لها محتواها الخاص ولها دلالاتها"، رغم أن العديد من الباحثين وعلماء النفس والاجتماع على حد تعبير الدكتور علي مقلد: "يرون أن الضحك هو مطلب فردي واجتماعي، خصوصا في الأزمات المتتالية" (شاكرا، 2004، ص 12).

اعتبره الفيلسوف الفرنسي "رينيه ديكارت René Descartes" انفعالا، وتوصل إلى هذه النتيجة بعد تحليله العميق لأوجه الصلة الموجودة بين النفس والجسد، وهذا في كتابه "انفعالات النفس les passions de l'âme" الذي نشر سنة 1649، حيث يقول ديكارت عن الضحك بأنه "كل ما يستطيع

أن ينفخ الرئة بشكل مفاجئ"، وقد تم ربطه بالفرح المعبر عن المشاعر "الضحك أحد الإشارات الأساسية للفرح" (ديكارت، 1993، ص 76).

لكن الفيلسوف "هربرت سبنسر Herbert Spencer" نفى أن يكون الضحك مجرد فعل فيزيولوجي لا يعكس إلا البعد الحيواني في الإنسان، ولا يمكن اعتباره مجرد فعل سيكولوجي بحث كما تقره المقاربة السيكولوجية باعتبارها أن الضحك ما هو إلا تعبير مباشر أو رمزي عن الغبطة والرضا والسرور والارتياح والانشراح، كما اعتبره "سيغموند فرويد Sigmund Freud" في كتابه "النكتة وعلاقتها باللاشعور بكونه" يلعب دوراً أساسياً في التخلص من رقابة الأنا الأعلى، ووسيلة أشبه ما تكون بالأحلام التي يهرب فيها الإنسان من وعي الصحو ومنطقة اليقظة"، فالضحك عند "فرويد" مختزل في أحلام اليقظة، وهي آليات لاشعورية تسعى إلى تخفيف حدة الإحباط الذي تحس به الذات تجاه الواقع، إذ يعتقد فرويد أن الفكاهة ترجعنا إلى طفولتنا وحريتنا قبل وعينا بسلطة الرقيب أي سلطة المجتمع وما يغرسه فينا وهو الأنا الأعلى (Freud, 1905, P120).

نخلص من كل ما سبق أن إن الضحك استعداد فطري عند الفرد لا يكتسبه بالتجربة فهو مرتبط بغرائز أخرى كالبكاء مثلاً، لهذا يعرفه أحد النفسانيين: "الضحك ظاهرة إنسانية تستثيرها دوافع معينة لا تختلف في التأثيرها عوامل السن أو الجنس، أو التعليم لأنها تكون جزءاً من طبيعة الإنسان الأولى، ... والأمثلة في هذا السياق كثيرة فالطفل الرضيع يبتسم عند مناغاته في الأسابيع الأولى من ولادته حيث يكون بعيداً عن كل المكتسبات الحياتية لا يتمتع إلا بالغرائز الأولى الفطرية، كذلك الابتسامة التي تشق طريقها وسط الدموع هي نوع من الضحك المذهب الفطري غير العمدي ولا المصطنع.

2. مكانة الفكاهة في السلوك الإنساني:

إن العيوب الاجتماعية تتميز بنوع من التصلب والجمود والتخلف عن مجارة المجتمع، ومسايرة المثل الأعلى، ولا سبيل أجدى من الفكاهة، والتهكم في تقويم الاعوجاج وعلاج أمراضه، والعمل على المرونة في النفس والطبع والأخلاق والأعمال. إن التهكم لون من السخرية المتفلسفة، أو الفلسفة الساخرة، ومن هنا كان التهكم الاجتماعي صورة من نظرة صاحبه إلى الحياة، وإلى الإحياء من مزاجه وتفكيره، وهو في الوقت نفسه صورة للمجتمع الذي يتهكم به الساخر.

للفكاهة دلالات مختلفة، منها الدلالة السياسية، والاجتماعية، فليست الفكاهة صادرة من المتفكرين للضحك والإضحاك فحسب، وليست أمام الباحثين طرائف للهو وحب السور فحسب، وإنما هي في كثير من حالاتها تصوير للحالة السياسية بألوان فيها تهكم أو سخرية أو نقد أو دعاية، أو غيرها من صنوف الفكاهة. وذلك بأن الناس لا يستطيعون أحياناً أن ينالوا من حكامهم بالأسلوب الجدي مخافة البطش أو التنكيل أو العقاب فيلجئون إلى الأسلوب الفكاهي لأنه مضمون العاقبة. وهم

في كثير من الأحيان يشعرون بالضغط الواقع عليهم، فيتخففون منه، ويخففون عن أنفسهم بألوان من الفكاهة، ويحاولون تقويم الحكام وهدايتهم سواء السبيل، أو تقويم المجتمع وعلاج أمراضه، أو الثأر من الأقوياء الجبارين، وهذه تلك صدى للحياة السياسية، وصورة لشعور المحكومين ونظرتهم إلى حكامهم.

1.2 تأطير مفهوم الفكاهة:

عبر امتداد العصور، وعبر مدى التاريخ عرفت البشرية روح الفكاهة والمرح، وكل من هذه الأمم - خاصة منها القريبة-أفردت لها الكتب والدراسات في محاولة منها الإحاطة بكنهها ومعرفتها أو الوصول إلى معانيها، فكلمة الفكاهة من الكلمات التي استهوت الباحثين والتي لم تجد تعريفا واحدا لها، والسبب في ذلك، الأنواع التي تتضمنها واختلافها فيما بينها، خاصة أنها تعددت معانيها من أمة لأخرى ومن ثقافة لأخرى.

دار مفهوم الفكاهة عند أصحاب اللغة بين جملة من معاني المتقاربة وصولا إلى معان متباعدة، في ظاهرها، ولكن عند النظر إليها نظرة تكاملية، ينجلي المعنى ويتوسع، فهي عند الخليل بن أحمد الفراهيدي: الفاكهة الثمر كله، والفكاهاني بائعها، والفاكهة صاحبها، وفهم تفكيها أتاها بما وفقهم بملح الكلام تفكيها، أطرفهم بها، والاسم الفكاهة، الفكاهة، فكه كفرح، فكهها وفكاهة فهو فكه وفاكه، طيب النفس ضحكوك، أو يحدث صحبه فيضحكهم، ومنه تعجب كتفكه، والتفاكه التمارح، والأفكوهة الأعجوبة، وهو فكه بأعراض الناس أي يتلذذ باغتيالهم (أبادي، 1952، ص 291).

ويتفق بن منظور بأن الفكاهة بالضم هي المزاح، والفاكهة الممازحة، وهي العتبة أيضا، (ترك القوم يتفكهون بفلان أي يغتابونه)، وبأنها تعني أيضا التعجب، مثل قوله تعالى: "فظلم تفكهون" (القرآن الكريم، سورة الواقعة، الآية 65)، أي تتعجبون، ويضيف لها معان أخرى مثل الفكه بمعنى الأشر البطر، كقوله تعالى: "ونعمة كانوا فيها فاكهين" (القرآن الكريم، سورة الدخان، الآية 27)، أي أشربين، ويشترك في هذا المعنى مع إسماعيل بن حماد الجوهري، الذي يضيف تأويلا آخر فيقول: وتفكه، تعب، ويقال تدم... وتفكتهت بالشيء: تمتعت به (الجوهري، 1984، ص 142).

من خلال هذه التعاريف الفراهيدي، الجوهري وابن منظور يتبين لنا أنهم يعتبرون الفكاهة هي في مجملها تعني: الندم، التمتع، والاعتياب، والمزاح، أما الفيروز أبادي من خلال قاموسه المحيط يذهب في تعريف الفكاهة أبعد منهم، بحيث يحيلنا إلى مادة سخر بقوله: "سخر منه وبه هزاء ... والاسم السخرية والسخري، سخره: كلفه ما لا يريد، قهره ... ورجل سخرة: يسخر من الناس... وسخرت السفينة: أي طابت لها الريح والسير".

يمكننا القول أن كل من ابن منظور والفيروز أبادي يربطان الفكاهة والسخرية بالقهر، والتذليل، والهزاء، فيما البقية وضعوا معاني متعددة للفكاهة ومنها: ملح الطعام، طيبة النفس، التعجب، الأشر،

البطر، الندم، التمتع، الغيبة، النميمة، السخرية. وهي في مجملها كما يبدو متنافرة تارة ومترادفة تارة أخرى.

2.2 الفكاهة اصطلاحاً:

المفهوم الاصطلاحي للفكاهة، نجده في المعجم المفصل في الأدب على أنها: "نوع من الأسلوب الهزئ الذي يستخدم فيه الأسلوب الجدي أو المعنى الواقعي، بعضيه أو كله بأن يتبع المتكلم طريقة في عرض الحديث، بعكس ما يمكن أن يقال على أساس أسلوب المجاز والتورية" (غريبي، 2012، ص 47-48). أما في المنجد الإعلامي، فنجد محمد منير حجاب يركز على خاصية المفارقة المفاجئة من حيث التعابير والمواقف والتي تعتبر جزء مهم من مهام الفكاهة في رسم الضحك ونشره فيقول: "الفكاهة هي مفارقة غير متوقعة في الكلمات أو المواقف أو الشخصيات تستثير ضحكنا" (حجاب، 2004، ص 396)، إن هذا التعبير يشبه إلى حد كبير تعريف شوبنهاور والذي يقول فيه حول الفكاهة: "إنها المفارقة التي يسببها التجاوز بين العظيم والتافه، وهذه المفارقات الصارخة هي التي تثير ضحكنا" (غريبي، 2012، ص 55).. وعرف قاموس أكسفورد "الفكاهة بأنها: تلك الخاصية المتعلقة بالأفعال والكتابة والكلام ... الخ، التي تستثير المتعة والمرح والمزاح"، وعرفها قاموس "وبستر" بأنها: "تلك الخاصية المتعلقة بحدث أو نشاط أو موقف، أو بتعبير خاص عن فكرة، والتي تستحضر الحس المضحك، أو الحس الخاص المتعلق بإدراك التناقض في المعاني، والفكاهة خاصية واقعية مضحكة أو مسلية، إنها تتعلق بالملكة العقلية الخاصة بالاكشاف والتعبير والتذوق للأمور المضحكة، أو العناصر المتناقضة اللامعقولة في الأفكار والمواقف والأفعال" (عبد الحميد، 2003، ص 14).

كما نجد باسم ناظم سليمان ناصر مولى يعرفها في مؤلفه سيكولوجية الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمداني بما يلي: "في المعاجم العربية يرتبط معنى الفكاهة بالضحك والمزاح، والفكاهة هو أنها كل ما يستطاب ويستطرف من الكلام، فكه أصل صحيح يدل على طيب واستطابه من ذلك الرجل الفكه: الطيب النفس، والشخص الفكاه هو الذي يمتلك القدرة على الإضحاك عن طريق الكلام، وهو الذي يتسم بطيبة النفس وبدوام الضحك وبكثرة المزاح" (مولى، 2012، ص 15).

أما في جانب الدلالة السوسولوجية للفكاهة، نجد تعريف أنيس فريجة، الذي حاول إيجاد تعريف شامل يستوفي معنى كلمة الفكاهة، فيقول: "الفكاهة قدرة عقلية وروحية تستطيع أن تكشف هذه العناصر المضحكة المتناقضة في الأقوال والأفعال والحركات والمواقف وتتجاوز معها وتعبّر عنها ضحكا أو ابتسامة أو رضا روحيا" (فريجة، 1962، ص 15).

يربط "باتريس بافيس" Patrice Pavis مفهوم الفكاهة بالهزلي والسخرية، حيث بقول: الفكاهة هي إحدى الآليات المفضلة لدى المسرحيين، بتوظيف الهزل والسخرية، مع احتفاظ الفكاهة بنكهتها ووقعها الخاص، فبينما السخرية والأهجية تأخذ بعدا باردا بصمة فكرية، فإن الفكاهة بحدها أكثر

حميمية ودفع، ولا تتواني من الضحك على ذاتها، وتسخر من الساحر ذاته، فهي تبحث عن المظاهر الفلسفية الخفية وراء الوجود، وهي بذلك تبرز الغني الداخلي للفكاهي (Pavis, 1996, p 58).

فيما يؤكد بعض الباحثين الذي اعتنوا بدراسة الفكاهة، أنها من الكلمات التي يصعب تحديدها نظرا لاشتغالها على عديد المفاهيم، وهذا ما يؤكدته فتحي محمد معوض أبو عيسى بقوله: "الفكاهة من الكلمات التي يصعب على الباحث أن يقف على تعريف محدد لها، ولعل سر ذلك في اشتغالها على الدعاية والمزاح والتهكم والسخرية والنكتة والهزل .. وهو ما يعضده رأي جون إيميلينا Jean Emelina القائل: "لقد يأسنا من قدرتنا على تحديد مفهوم مرض للفكاهة، نحن نعتقد أنه من الأحسن التخلي عن ذلك، فأحيانا يبدو مفهوم الفكاهة بعيدا ومتغيرا من بلد لآخر، ومن زمن لآخر، ومن موضوع لآخر، وأحيانا أخرى يبدو مفهومها جد دقيق ويصعب علمها حصره". وهو ما تصر عليه أيضا بياتريس بريغو فالفيردي Béatrice Priego-Valverde القائلة: "لا يمكننا تحديد مفهوم الفكاهة"، وترجع ذلك إلى جملة من الأسباب منها: تعدد المصطلحات، تعدد المقاربات، تعدد الأشكال، ذاتية الفكاهة وانعدام معايير محددة ... (بن عمارة، 2009، ص 101 بتصرف).

وكتب لويس كازميان Louis Cazamian سنة 1906 مقالا بعنوان: "لماذا لا نستطيع تعريف الفكاهة؟" ووضع روبرت اسكاربيت Robert Escarpit عنوانا لمقدمة كتابه الفكاهة: "التعريف المستحيل" (اسكاربيت، 1992، ص 05).

يمكن لنا أن نستخلص من خلال هذه التعاريف أن: لفظة الفكاهة لها دالتان، الأولى تعكس التلطف في المحادثة والكلام وطيبة النفس بهدف الإضحاك والترويح، أما الثانية فهي تدل على نوع من التهكم والسخرية بذكر العيوب، والميزة المشتركة في كليهما أي الدالتين هو الضحك والترويح عن النفس، وبالتالي الفكاهة تسمح للفرد بوضع نفسه على مسافة من واقعه المعاش، بحيث تجعله يضحك بدل أن يبكي.

3. الفكاهة... وعلاقتها بالإنسان:

الفكاهة فن له جذوره القديمة الضاربة في أعماق التاريخ، حتى إن بعض الدارسين يعده مرتبطا بنشأة الإنسان ذاته، ويمكن العثور على الرسوم الفكاهية في آثار تعود لحضارات ما قبل التاريخ، حيث كان الإنسان يصور على جدران مغارته وعلى الصخور حياة الحيوانات المحيطة به، وحياته الشخصية، وقد عثر على كثير من الرسوم التي تحوي عناصر الفكاهة والسخرية فوق كثير من جدران الكهوف في الجزيرة العربية وبلاد الرافدين والصحراء الجزائرية وقبرص وفرنسا وإيطاليا وأمريكا الجنوبية وفي كثير من الأمكنة الأخرى).

الفكاهة والضحك والابتسام والبشاشة والمرح والمزاح والدعابة والهزل والكوميديا والنكتة والملحة والنادرة، كلها ظواهر نفسية من فصيلة واحدة، وكلها تصدر عن تلك الطبيعة البشرية المتناقضة التي سرعان ما تمل من حياة الجد والصرامة والعبوس، فتتلمس في اللهو وترويحها وتسعى عن طريق الفكاهة

نحو التهرب من الواقع الذي كثيرا ما يثقل كاهلها، في هذا الصدد يقول نعمان محمد أمين طه: "... ليس هناك وسيلة للتخلص من العواطف المؤلمة المختلفة، إلا بحركة ذهنية داخلية تطرد هذه الآلام خارجا ولا تتولد هذه الحركة إلا بالضحك" (قزيحة، 1998، ص 72).

فتراكم الجد والكد في حياة ويوميات الأفراد قد يصل بهم لدرجة النصب والإجهاد، ولو طال بالبشر حال النكد والكد لبلغ بهم الشؤم والملل المراتب الكبرى، لذلك يرغب الإنسان ويحبذ بشكل قوي في التجديد وإظهار ذلك النشاط الخفيف والحركة المرحية المتمثلة في الضحك والفكاهة، فلا فرق في ذلك بين كل فئات وأصناف البشر.

ورغم ميل الإنسان الكبير إلى الفكاهة، إلا أن أشكالها ومفاهيمها كانت دائما في تغير وتجدد من ثقافة لأخرى، متأثرة في ذلك باختلاف الزمان والمكان، فلكل عصر فكاهته الخاصة التي يتميز بها عن باقي العصور، ويدخل في هذا تطور الحياة حتى ولو كان بسيطا أو سريعا واختلاف الأذواق وتباينها. "فلكل يرى في فن الفكاهة فن ينم عن ألم دفين ويشف من كرب خفي، يريد اللجوء إليه ليداوي ألمه بالضد ويشفي كربيه بالنقيض، فالدافع إلى الفكاهة والباعث إلى اللجوء إليها يختلف من عصر لآخر" (زاده، ب ت، ص 101).

فمرات تظهر لنا الفكاهة فردية ومرات أخرى نجدها تتميز بطابع جماعي، لكن الهدف واحد وواضح دائما هو التنفيس والهروب من الواقع والحقيقة الذي يحمل للأفراد الكثير من الأوجاع والآلام أو أبسط من ذلك التعب والملل، فتاريخ الفكاهة جاء مع تاريخ البشر، كشاهد وكاشف على خبايا وخفايا المجتمعات، ممارسا للنقد والترويح من خلال رسائل الفكاهة ومضامينها لما لها من فوائد ولما تمنحه للأفراد من فرص التعبير والانشراح، حيث: "استأثر الفكاهة باهتمام الثقافات المتنوعة والحضارات المختلفة، فدرسه الفلاسفة والعلماء والأدباء والفنانون، وزخرت به أعمالهم قديما وحديثا، حتى غدا إطارا للتفلسف وعلما راسخا وفنا في الرواية والمسرح وشكلا من أشكال الفنون التشكيلية، وضربا من ضروب العلم والإبداع" (العبيدي، 2010، ص 27).

ويرى شوقي ضيف أن الفكاهة هي فن قديم حتى أن جذوره لتصل إلى قدماء المصريين الذين سجلوا ذلك في رسوماتهم التي نحتوها على جدران معابدهم، فقد رسموا صورة تشبه فن الكاريكاتير الذي لا تخلو منه صحيفة يومية لأهميته في معالجة المشكلات اليومية للناس في صورة ضاحكة (ضيف، 1958، ص 21).

إن الفكاهة -عبر العصور المتتالية والأزمنة المتعاقبة- تشكل نشاطا اجتماعيا واضحا، فالنكتة -على سبيل المثال - لا يستطيع شخص أن يرويها لنفسه، بل لابد من آخر أو آخرين، حتى يكتمل موقف التنكيت والفكاهة، وكذلك الأمر في الشعر الفكاهي الذي يحتاج إلى متلق أو متلقين آخرين، بل إنه حتى في تلك الأشكال الانعزالية من الفكاهة، أي غير الاجتماعية. أي التي يستطيع الإنسان الاستمتاع بها

بمفرده مثل الرسوم الهزلية والقصص الفكاهية، غالبا ما يكون هناك تصور بصري لشخص آخر، أو لجماعة أخرى من البشر (عبد الحميد، 2003، ص 16).

ويتفق كثير من الدارسين على أن ظاهرة الفكاهة تنطوي على عنصر لهو أو لعب. وأنها ليست وليدة حاجة بيولوجية ملحة، إلا أن عددا غير قليل منهم يشير إلى أن الفكاهة ترتبط بالوسط الاجتماعي والإطار الحضاري العام، وبذلك تكتسب دلالة اجتماعية واضحة، والفكاهة وسيلة مرتبطة ارتباطا قويا بأداب المجتمع وعاداته وقيمه فهي وازع اجتماعي تحاول التغلب على التناقضات الاجتماعية وتقاوم الانحراف أيضا.

إن الضحك والتفكه سلوك زاخر بالقيم والمعايير والسلوكيات الاجتماعية، حيث يرتبط الابتسام والضحك بالاستمتاع مع الآخرين وبوجودهم، وقد يضحك الناس من هؤلاء الذين يخرجون على معايير الجماعة وقيمها رغبة في أن يعيدوهم إلى نطاق هذه المعايير والقيم مرة أخرى كما أشار برغسون (برغسون، 1964، ص 17).

من جهة أخرى فإن الفكاهة تمنحنا نوعا من التحرر المؤقت من سيطرة القوالب النمطية والطرائف المنطقية الجامدة من التفكير، وتسمح لنا بالهروب المؤقت من قيود الواقع وحصاراته، والتجول بحرية لبرهة في حدائق الأصالة والخيال والإبداع. وكذلك خلو البال، والشعور بالمباغطة والدهشة والمفاجأة.

وتستخدم الفكاهة أيضا للتخفيف من وطأة القيود الاجتماعية بوصفها صمام أمان للتعبير عن الأفكار المرتبطة بجوانب ترتبط أكثر من غيرها بالقيود الاجتماعية وتتعلق هذه الجوانب بالسلوكيات الغريزية والعنصرية والجنسية، وهي السلوكيات التي تنظمها المجتمعات على نحو أخلاقي وديني واجتماعي، وتحاول توفير السبل المناسبة للتعبير عنها، فالفكاهة والضحك والنكتة تؤدي دورا تنفيسيا من خلال تصريف بعض الطاقات التي لو تراكمت لأصبحت ذات فاعلية سلبية في المجتمعات المختلفة (عبد الحميد، 2003، ص 39).

يبقى أن نذكر في هذا المجال أن الدراسات الإنسانية والبيولوجية الحديثة تشير بشكل عام إلى أن "الفكاهة والضحك من الأمور الطبية والضرورية لجسم الإنسان، فهما يعملان على استعادته لتوازنه، من خلال تأثيراتهما التي تتمثل في تزويد الدم بالأوكسجين والحفاظ على ضغط الدم متوازنة أو مستقرا وتنشيط الدورة الدموية، وخفض التوتر في الأعضاء الحيوية في الجسم، والمساعدة على الهضم وإراحة الجهاز الكلوي لجسم الإنسان، ومن ثم إنتاج حالة جديدة تجعله يشعر بالراحة والاطمئنان، ولذلك فإن للفكاهة والضحك أهميتهما الجسمية والنفسية والاجتماعية والبقائية أيضا، فمن خلال مقاومة الإنسان للضغوط النفسية والجسمية وعلاجها بالضحك الذي تكون الفكاهة مثيرة له، يستطيع أن يواجه مشكلات الحياة ومنغصاتها، وأن يبقى حيا بشكل أفضل."

1.3 خصائص الخطاب الفكاهي:

لقد أجمع الباحثون والدارسون الذين علقوا بالفكاهة من منظور لسانی أو اجتماعي أو نفسي أو نقدي على أن كل الخطابات الفكاهية، سواء كانت أيقونية أو لسانية، تشترك في الخصائص نفسها، حيث أن تواجد كل هذه العناصر أو إحداها في الخطاب الفكاهي هو الذي يجعلنا نضحك، وتتمثل هذه الخصائص -والتي أحصتها بياتريس بريغو فالفيدي-فيما يلي:

1. التناقض: قد تصادفنا في حياتنا اليومية أشياء متناقضة من حولنا، فعلى سبيل المثال ونحن نشاهد التلفاز، نشاهد لقطة خارجة عن العادة مثل صوت رجل لدبلجة دور امرأة أو طفل يتغلب على شاب في حلبة المعركة؛ فهذه الوضعية المتناقضة مقارنة مع الواقع ستثير حتما ضحكنا، فالتناقض مع الواقع سبب من الأسباب التي تبعت إلى الضحك، وهذا هو المقصود بالتناقض في الخطاب الفكاهي.

ويرى الباحثون أن هذه الخاصية في الخطاب الفكاهي ما هي إلا حالة نفسية يعيشها الأشخاص عند تواجدهم في وضعية معينة والتي تثير عندهم بعض التوقعات والتصورات من خلال بعض العناصر، وفق تجاربهم السابقة في محيطهم، إلا أنهم عند إدراكهم لتلك العناصر، يصطدمون بأنها معاكسة لما كانوا يتوقعون ومنافية لتصوراتهم فيضحكون (Bariaud, 1983, P 24-25).

انطلاقاً من هذه النقطة، يمكننا القول أن الضحك استجابة طبيعية لذلك النزاع الإدراكي بين توقعاتهم وبين ما وجدوه في الواقع، ويؤكد جون فوراستي Jean Fourastié خاصية التناقض في الخطاب الفكاهي قائلاً: «للضحك، يجب الإحساس أولاً وقبل كل شيء بنوع من النزاع والتناقض...».

ومما لا شك فيه أن هذا التناقض الذي يتميز به الخطاب الفكاهي يحتاج لشروط معينة تجعل منه مثيراً للضحك، ليس معقولاً أن يكون أي تناقض في أية وضعية كانت محفزاً لجعل الأشخاص يضحكون، ويمكننا حصر هذه الشروط المتعلقة بالتناقض الذي يتميز به الخطاب الفكاهي في نقطتين أساسيتين:

◀ يجب أن تكون هناك نوع من العلاقة المشتركة بين المتخاطبين التي تساعد على إدراك ذلك التناقض والإعجاب به (Fourastie, 1983, P29).

ويمكننا شرح هذه النقطة من خلال النكت التي تستند موضوعاتها على عيوب مجموعة عرقية ما، فإذا ما تواجد شخص وسط أولئك المتخاطبين ولا ينتمي إليهم، فلن يضحك على نكتهم لأنه لا يتبادل تلك العلاقة المشتركة بينهم والمتمثلة في نكتهم لأنه سيراها غير مسلية ومحقرة من دون شك، وانطلاقاً من هذه النقطة، يمكننا القول أن الخطاب الفكاهي قائم على صيرورة نفسية مزدوجة أولها معرفية لأن الأشخاص لا يضحكون إلا إذا فهموا ذلك التناقض وأدركوه، أما الثانية فهي شعورية يسبب تلك

العلاقة التي تنشأ بين المتخاطبين فتجعلهم يحسون بنوع من الاطمئنان عكس ذلك الذي لا يندمج معهم لأنه لا يحس مثلما يحسون.

◀ ويجب أن يكون التناقض إراديا في الخطاب الفكاهي، ففي الحالة المعاكسة، يبقى ذلك التناقض مضحكا لكنه ليس فكاهية. ويؤكد كلا من أوغ لوتيري Hugues Lethierry وأندري دوب يريتي André De Peretti هذه النقطة في قولهما: «لا يمكن أن تكون الفكاهة عفوية أو انتسابا من دون تفكير» (Lethierry, 1997, P 206).

وفعلا، إذا كان التناقض إراديا في الخطاب الفكاهي فهذا يعني أنه أولا وقبل كل شيء أنه قائم على التفكير، وهذا ما يؤكد على ما ذكرناه أعلاه في أن التناقض في الخطاب الفكاهي قائم على سيروية معرفية.

2. المسافة: يتميز الخطاب الفكاهي بتلك المسافة التي يخلقها المخاطب بينه وبين الواقع حيث أنه لا يمكنه الضحك على شيء ينتهي إليه أو من شيء يؤثر في داخلته أو نفسيته. فتلك المسافة إذن ضرورية ليصبح المخاطب يبدو وكأنه يبدو غير مباليا بمحيطه (Priego-Valverde, 2003, P 26-27).

ويجدر بنا الإشارة إلى أن هذه المسافة التي تفصل بين الواقع والمخاطب تؤدي حتما إلى ظهور ظاهرتين لا يمكن فصلهما في أية حالة من الأحوال وهما الموقف المزدوج والخطاب المزدوج، فأما الموقف المزدوج، فهذا شيء طبيعي؛ فالفكاهي على سبيل المثال يضحك ويسخر من الواقع وكأنه لا يحس به، ولكنه يحاول في الوقت نفسه أن يظهر لجمهوره أن كل ما يقوله ما هو إلا مواقف فكاهية لا يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار، وأما الخطاب المزدوج فهذا واضح من خلال الرسالة التي يحملها هذا الخطاب الفكاهي، فعلى الرغم من أن الوضعية التي يطرحها الفكاهي مضحكة إلا أنها تحمل في طياتها صورة الواقع الحقيقية التي يجب إدراكها من خلال تلك المواقف المثيرة للضحك.

وتؤكد بياتريس بريغو فالفيردي على أن المسافة التي نجدها في الخطاب الفكاهي إذن، ليست هروب من الواقع وإنما أحد شروطه الضرورية «إذا كانت المسافة الفاصلة عن الواقع شرط من الشروط الضرورية في الفكاهة، فهي ليست نфия له...» (Priego-Valverde, 2003, P 29-30).

يمكن أن نستنتج انطلاقا مما سبق، أن المسافة في الخطابي الفكاهي عنصر جد مهم التوصيل الرسالة التي يحمل ذلك الخطاب، فلولاها لعاش الفكاهي في صراع دائم بين الحقيقة التي يريد توصيلها وبين الواقع الذي يعيش فيه.

3. الازدواجية: تنظر بياتريس بريغو فالفيردي للازدواجية على أنها تواجد لفكرتين متعارضتين أو متناقضتين في خطاب واحد. ونلمس هذه الخاصية خاصة في الخطابات الفكاهية القائمة على الكلمات المتعددة المعاني وتأويلاتها المختلفة حيث عادة ما يركز الفكاهي خطابه على تلك الازدواجية في المعاني.

ولقد تطرقنا بصفة غير مباشرة إلى الازدواجية التي يتميز بها الخطاب الفكاهي سالفاً من خلال خاصيتي التناقض والمسافة، فلقد أشرنا إلى الخاطب الذي يعيش موقفاً مزدوجاً وإلى الخطاب الفكاهي الذي يحمل رسالة مزدوجة، وهنا نلمس فكرة الازدواجية؛ فعادة ما يكون الموقف المزدوج الذي يعيشه المخاطب متناقضاً والشئ نفسه بالنسبة للرسالة المزدوجة.

4. الغموض: يبدو أنه هناك نوع من الغموض في الخطابات الفكاهية حيث يكون على مستويين: غموض مقصدي لأننا عادة ما لا نعرف مقصد الفكاهي ولا موقفه من القضايا والمواضيع التي يطرحها، وهناك غموض من نوع آخر يكون على مستوى شكل الخطاب، خصوصاً وأنه عادة ما يحمل في طياته تأويلات مختلفة يفرضها الفكاهي على جمهوره بإرادته، فينقلها هذا الأخير ويتفاعل معها إلى حد أنها تثير ضحكته (Priego-Valverde, 2003, P 35-37).

فالغموض في الخطاب الفكاهي إذن، يكمن في تلك التأويلات المختلفة لذلك الخطاب والتي يسعى المتلقي لاكتشافها ولفك رموزها كي يتسنى له فهم ذلك الخطاب الفكاهي الذي يدفعه للضحك.

5. علاقة التشارك: تنشأ علاقة من التشارك بين المتخاطبين والتي تستلزم من دون شك وجود مخاطب واحد على الأقل، فعادة ما تبقى هذه العلاقة بين المتخاطبين وفق معارفهم الموسوعية لكي تكون عاملاً مشتركاً يجمع بينهم، أضف إلى ذلك أمزجتهم وأذواقهم التي يجب أن تكون مشتركة ليسمح لهم ذلك بإدراك الخطاب الفكاهي بالطريقة نفسها، فيضحكون للأسباب نفسها أيضاً، فعلاقة التشارك جد ضرورية لنجاح الخطاب الفكاهي.

ويبدو أننا نلمس أهمية هذه الخاصية على وجه الخصوص عندما يتعلق الأمر بترجمة النكت والأفلام الفكاهية التي عادة ما لا تثير الضحك عند متلقيها إذا ما ترجمت ترجمة حرفية، وهذا بسبب عدم وجود علاقة تشارك بين متلقي اللغة المنقول منها ومتلقي اللغة المنقول إليها واختلاف أمزجتهم وثقافتهم وأذواقهم ووجهات نظرهم.

6. الخطاب الفكاهي بين العدوانية والتعاطف: تتمثل هذه الخاصية في الغرض من الخطاب الفكاهي، فمن الدارسين من يرى أن الغرض من الفكاهة هو الترويح عن النفس والتعاطف مع الناس من خلال عرضها للواقع بطريقة هزلية ومسلية ومضحكة ومن الدارسين من يعارض هذه الفكرة حيث يرون في الفكاهة شكل من أشكال العدوانية غرضها التجريح والتحقير خاصة عندما يتعلق الأمر ببعض أنواع الفكاهة خصوصاً السخرية والتهكم والهجاء. وهناك فريق وسط يؤكد على فكرة المزيج بين العدوانية والتعاطف.

7. اللهو: مما لا شك فيه أن الفكاهة شكل من أشكال اللهو والترويح عن النفس وهذا من خلال الضحك والفكاهة تجعل المتخاطبين يتمتعون بتلك الوضعية، فيشعرون بنوع من اللذة المشتركة حيث يكون الخطاب الفكاهي وموضوعه النقطة المشتركة بين أولئك المتخاطبين، ويمكننا

القول أن خير دليل على خاصية الله في الخطاب الفكاهي، هو استخدام الفكاهة كعلاج للأمراض النفسية في المصحات لأنها نوع من اللهو والترويح عن النفس (Priego-Valverde, 2003, P 38-43).
والجدير بالذكر أن كل هذه الخصائص التي يتميز بها الخطاب الفكاهي متداخلة فيما بينها، حيث يصعب على الدارس دراسة كل واحدة على حدة، فمهما تعمقنا في الدراسات التي تعنى بالفكاهة فلن نستطيع دراسة هذه الظاهرة من كل جوانبها ولن نستطيع الوصول إلى نتائج مرضية لعدم إمكانية تناول الظاهرة من كل جوانبها أو على الرغم من محاولة الباحثين دراسة الفكاهة من كل جوانبها، أي من منظور نفسي واجتماعي ومعرفي، وتبقى أنواع الفكاهة المختلفة هي التي تزيد من الدراسة تعقيدا، هذا الاختلاف أهدافها وأغراضها وألوانها وأشكالها وتناقضها فيما بينها في الكثير من الأحيان.

4. الفكاهة في ميزان القيم:

إن الفكاهة بأنواعها تخضع أكثر من غيرها لعوامل الاعتدال والاعتدال والتطرف، في مقياس يتراوح بين النبل والابتذال، وفي ذلك يقر "أفلاطون" بأن: «التافه وحده هو الذي يسخر من شيء غير منحط، وأن من يحاول الضحك ساخرا من شيء غير الحق والرذيلة، إنما يرمي إلى هدف آخر غير الخير» (فؤاد، 1985، ص 335).

وقد ذهب "أرسطو" لتأكيد هذا المقياس الجوهرية في سلم القيم الجمالية والأخلاقية للفكاهة حيث يقول: «المضحك ليس إلا قسما من القبيح والأمر المضحك هو منقصة ما أوقبح ما لألم فيه ولا إيذاء» (أرسطو، 1986، ص 36)، ليرد الجاحظ على هذا الرأي فيقول: «ولو كان الضحك قبيحة من الضاحك وقبيحة من المضحك، لما قيل للزهرة والخبرة والحلي والقصر المبني: كأنه يضحك ضحكا» (الجاحظ، 1991، ص 53-54)، وقد قال الله تعالى عز وجل "وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا" (القرآن الكريم، سورة النجم، الآية 43-44).

فوضع الضحك بحذاء الحياة ووضع البكاء بحذاء الموت، وأنه لا يضيف الله إلى نفسه القبيح، ولا يمن على خلقه بالنقص، وكيف لا يكون موقعه من سرور النفس عظيما، ومن مصلحة الطباع كبيرا، وهو شيء في أصل الطباع وفي أساس التركيب، لأن الضحك أول خير يظهر من الصبي، إن به تطيب النفس، وعليه ينبت شحمه، ويكثر دمه الذي هو علة سروره ومادة قوته» (الجاحظ، 1991، ص 07).

لكن الضحك عند الجاحظ ليس أمرا مطلقا، ولا سلوكا منطلقا بلا حدود ولا لجام، فلكل مقام ضحك وابتسام، وللضحك نفسه موضع وله مقدار، وللمزح موضع وله مقدار متى جازهما أحد، وقصر عنهما أحد، صار الفضل خطأ، والتقصير نقصا فالناس لم يعيبوا الضحك إلا بقدر، ولم يعيبوا المزح إلا بقدر، ومتى أريد بالمزح النفع، وبالضحك الشيء الذي جعل له الضحك، صار المزح جدا، والضحك وقار (الجاحظ، 1991، ص 08).

لذلك لم يكن سقراط يضحك بصوت مرتفع، فهذا يتناقض مع معارضته وأفلاطون للإسراف والتطرف، لذلك ومن خلال حواراته ومحاوراته الفكرية حول موضوع معين كان يوظف الفكاهة في

بعدها الساخر كمنهج علمي -عرف باسمه- غير أن التفاعل الاجتماعي كان يخطط له بعناية، بحيث يسمح بنوع من الضحك الأدبي والفلسفي المهذب، ضحك يسر ولا يضر، لأنه لا يبتغي العدوانية، من خلال ذلك الحوار الذي يدور بين "سقراط" و "بروتاغوراس" وهو يعتبر واحد من أهم أعمال أفلاطون حول أهمية الضحك (مرشنت، 1980، ص 130-131).

ويتفق هذا التفسير مع ما ذهب إليه "جدامير" في تفسيره للعلاقة بين الفن والحياة بشكل عام على أنهما نوع من اللعب له قواعده، وفيه تنافس، منتصرون ومنهزمون، المنتصرون يضحكون لشعورهم بالانتصار والمنهزمون يتألمون نتيجة ما لحق بهم من هزيمة، وفي كل فائدة (GADAMER, 1995, P 326). وللفكاهة وجه آخر للتراجيديا الوجود والحياة فكما هي شكل من أشكال ألم السقوط تحمل في طياتها كذلك لذة الانتصار، والأدب والمسرح الإنساني قد قدم في ذلك أبلغ المشاهد التي تغني عن كل درس.

يظهر أن هذه المقاربات كلها نجدها تتأسس على منطلقات متعارضة أحيانا غير أننا نجدها تتكامل بشكل أو بآخر، وفي كل المستويات والأبعاد: البعد المفهوماتي، والبعد المعرفي الخالص والبعد النفسي العميق والبعد السوسيوثقافي والجمالي، والاتصالي، وعليه يمكننا أن نخلص إلى هذا التصنيف الشكلي الذي تحاول به عرض بعض أنماط الفكاهة ومنها:

❖ فكاهة عدوانية تهدف إلى إسقاط الآخر والتقليل من شأنه.

❖ فكاهة جنسية تهدف إلى جلب اللذة والمتعة عن طريق الإغراء

❖ فكاهة سوداء تهدف إلى النقد الذاتي وهي ذات قيم دفاعية.

❖ فكاهة معرفية وعالمية وهي تدور في فلك الغموض والالتباس.

❖ فكاهة دفاعية ساخرة تهدف إلى نقد النظام الاجتماعي، بسبب التهميش والإقصاء.

❖ فكاهة السخرية الاجتماعية التي ترتبط بنقد القيم الأخلاقية والسلوكية.

إن الفكاهة توظف آليات مبنية على التعارض وهي نوعان:

❖ ما يهدف إلى الطرح الإشكالي وعرض المواقف بغرض حلها.

❖ وما يهدف إلى المتعة والفرجة في بعدها الجمالي (عبد الحميد، 2003، ص 30).

إن علم النفس الاجتماعي يقر بأن الحس الفكاهي يخضع لعدد من الخصائص التي تكون في العموم إيجابية، غير أنها تحمل طابع الجاذبية الاجتماعية.

لذلك نجد الناقد "جاك شابو" يخلص من دراسته المطولة لنص "جيونو" مايلي: إني متأكد أنه يتعذر على تعريف الفكاهة، فالفكاهة ليست بالموضوع النظري... إنها ممارسة فريدة لغرض خاص، الفكاهة ليست موضوع معرفي، قد نجعله كذلك قدر المستطاع، الفكاهة ذات بتواطؤ الآخرين،

الفكاهة تواطؤ الأفراد المنفردين، الفكاهة شكل تعبيرى لعقل فردي وسلوك عملي ضد وضع مقرر في الواقع والذي نستسلم لهيمنته باسم السلطة المفروضة هي كذلك، الفكاهة إذا هي أسلوب تعبيرى وتواطؤ ناجم عن خطاب شديد الفردانية وهو رغما عنه يصبح موضوع معرفي، إنه يقع على النقيض من الضحك إنه فعل اجتماعي وليس فردي، يمكن التحقق من علاماته المرجعية في النص، وفي هذه الممارسة الكتابية التي تكون في غاية الذاتية (Chabot, 1992, p 402).

خاتمة:

يمكننا أن نستخلص من ذلك بأن الفكاهة تمثل الشجرة التي يتفرع عنها كل الأنواع والأشكال التعبيرية القصصية الشفوية منها والمكتوبة - اللسانية وغير اللسانية- كما تشمل الثقافات الشعبية منها والعالمية التي تدخل في مجالها بنسب وخصوصيات مختلفة، وبمستويات عملية وأسلوبية مركبة تكون فكاهتها شكل آخر من التفكير عبر الابتسامة أو الضحك، أو المتعة الفكرية الذكية كهدف تروحي خالص من جهة، أو كوسيلة أدبية وفنية وحرفية تكون كفعل أورد فعل دفاعي أو كسلاح يتخذه المتفكك أسلوبا لمقاومة كل ما هو حقير ومشوه في الواقع، من خلال العلاقة القائمة بين السائد والمتوقع والمعياري وبين الواقع والمثال.

ومن ذلك فإن الفكاهة قادرة على أن تأخذ مكانتها المعرفية، والأيدولوجية، والجمالية والاتصالية، بين أشكال التعبير المختلفة، حيث يساهم كل نوع فرعي من أنواع الفكاهة في ظاهرة الفكاهة الكلية، وكذلك ما يرتبط بها من ضحك ومتعة، وتظل الفكاهة والهزل أكثر إحاطة وشمولا من كل هذه الأنواع.

المصادر:

- القرآن الكريم.

قائمة المراجع:

- أرسطو، (1986)، فن الشعر، ترجمة: شكري عياد، البيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- اسكارييت روبرت، (1992)، الفكاهة، ترجمة: هدى علي جمال، دار المستقبل العربي.
- أمقران عبد الرزاق، (2009)، في سوسيولوجية المجتمع: دراسات في علم الاجتماع، المكتبة العصرية، مصر.
- برغسون هنري، (1964)، الضحك، ترجمة: سامي الدروبي، عبد الله عبد الدائم، دار اليقظة العربية، الطبعة الثانية، دمشق.
- بن عمارة أمال فاطمة الزهراء، (2009)، ترجمة الفكاهة في القصة المصورة: مغامرات تان تان نموذجاً، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الترجمة، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم الترجمة، جامعة وهران.

- الجاحظ أبو عثمان بن بحر عمرو، (1991)، البخلاء، تحقيق: طه الحاجري، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة.
- ديكارت رينيه، (1993)، انفعالات النفس، ترجمة: جورج زيناتي، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
- شاكر عبد الحميد وآخرون، (2004)، الفكاهة وآليات النقد الاجتماعي، مطبوعات مركز البحوث الاجتماعية، القاهرة، الطبعة الأولى.
- شمسي واقف زاده، (ب.ت)، الأدب الساخر: أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية، مجلة دراسات الأدب المعاصر، السنة الثالثة، العدد 07.
- شوقي ضيف، (1958)، الفكاهة في مصر، مجلة الهلال، العدد 83، دار الهلال، القاهرة.
- عبد الحميد شاكر، (2003)، الفكاهة والضحك: رؤية جديدة، سلسلة عالم المعرفة، العدد 289، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
- العبيدي ليلي، (2010)، الفكاهة في الإسلام، الطبعة الثانية، دار الساق، بيروت.
- غريبي عبد الكريم، (2012)، الفكاهة في مسرح عبد القادر علولة بين الإبداع والاقتراس: دراسة لأربعة نماذج، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في النكتة الشعبية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان.
- فريحة أنيس، (1962)، الفكاهة عند العرب، مكتبة رأس بيروت، الطبعة الأولى، بيروت.
- فؤاد زكريا، (1985)، جمهورية أفلاطون: دراسة وترجمة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.
- فريحة رياض، (1998)، الفكاهة في الأدب الأندلسي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت.
- مجموعة من المؤلفين، (1982)، الفكاهة والضحك، مجلة عالم الفكر، المجلد 02، العدد 12، الكويت.
- مرشنت مولوين، (1980)، الكوميديا، ترجمة: جعفر صادق الخليلي، منشورات عويدات، بيروت.
- مولي ناظم سليمان ناصر باسم، (2012)، سيكولوجية الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمداني، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

- ويلسون جلين، (2000)، سيكولوجية فنون الأداء، ترجمة شاكر عبد الحميد، سلسلة عالم المعرفة، العدد 258، الكويت.
- Bariaud Françoise، (1983), la genèse de l'humour chez l'enfant, PUF, paris.
- Chabot Jacques, (1992), Humour et poésie dans Noé, repris dans Giono L'humeur belle, Publications de l'Université de Provence, paris.
- Fourastie Jean, (1983), le rire : suite, Denoël Gonthier, Paris.
- Freud Sigmund، (1905), Jokes and Their relation to the unconscious; Newly translated from German and edited by James Strachey, the standard Edition,.
- Gadamer Hans-Georg, (1995), Langage et Vérité, Traduction et préface par Jean-Claude Gens, édition Gallimard, Paris.
- Lethierry Hugues, André De Peretti, (1997), Savoir(s) en rire : rire à l'école, Boeck Université, Bruxelles.
- Pavis Patrice، (1996), Dictionnaire du théâtre: termes et concepts de l'analyse théâtrale, Editions sociales, Paris,.
- Priego-Valverde Béatrice, (2003), L'humour dans la conversation familière : description et analyse linguistique, édition L'harmattan, paris.